حوار حول برنامج صناعة المحاور

د. سلطان العميري

بعد انطلاق برنامج صناعة المحاور ، وبعد دفعته الأولى بدت تظهر عدد من الاعتراضات عليه ، والمعترضون على البرنامج ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : الملاحدة والمشككون في الدين ، وهؤلاء معروف دافعهم ومنطلقاهم .

والصنف الثاني : بعض أتباع المذهب الأشعري ، وحجتهم أن البرنامج ينشر المذهب السلفي ، ويعتمد على منهج مخالف للمنهج الكلامي .

والصنف الثالث : عدد من الفضلاء ، وقد أورد هؤلاء قدرا من الاعتراضات ، بعضها مبني على جهل بحال البرنامج ومنهجيته ، وبعضها مبني على أمور اجتهادية محضة قد يوافقن عليها وقد يخالفون .

وسأحرص في هذا المقال على مناقشة عدد من تلك الاعتراضات ، وأبين ما فيها من خلل ، تبيانا للحقيقة وتوضيحا للأمر .

الاعتراض الأول : أن البرنامج يقوم على المنهجية الكلامية في الاعتماد على الاستدلال العقلي .

وهذا اعتراض خاطئ ، فإن فكرة البرنامج تقوم أولا على تعميق اليقين بدين الإسلام وأصوله عن طريق إقامة الأدلة الصحيحة عليها ، وهي أدلة مأخوذة من القرآن والسنة وكلام أئمة السلف والعلم التجريبي الصحيح ، وتلك الأدلة متنوعة : بعضها يقوم على تعظيم الوحي والرسالة ، وأنها النور الإلهي المنقذ للبشرية ، وبعضها يقوم على شرح كمالات الله تعالى في

العلم والحكمة والقدرة وبيان إنعامه وآياته في الآفاق ، وبعضها يقوم على الأدلة العقلية ، وليس فيه اعتماد على المنهج الكلامي من لا قريب ولا بعيد ، بل فيه تعريض بنقده بيان خلله وبيان المفاصلة معه .

فأنت ترى من هذا التوضيح أن البرنامج لا ينحصر على المادة العقلية، فالمادة العلمية المعتمدة في البرنامج أوسع بكثير من الاستدلال العقلي كما ذكرته له .

ثم إن مقررات البرنامج في مواد كثيرة فيها ذم صريح لمنهج المتكلمين وتحذير شديد منه ، وبيان لحالهم وغير ذلك ، فكيف يقال : إنه متأثر بالمنهج الكلامي؟!

ثم على التسليم بأن البرنامج ليس فيه إلا الاعتماد على الاستدلال العقلي ، فمن قال: إن الاستدلال على مطلق الاستدلال العقلي هو المنهج الكلامي؟!!

فهذا تصور خاطئ لا يقول به أحد من العارفين ، فإن الاستدلال العقلي من حيث الأصل منهج قرآني سلفي أصيل ، وله شواهد كثيرة جدا في النصوص الشرعية وفي مقالات أئمة السلف .

والخطأ في المنهج الكلامي ليس راجعا إلى أن أتباعه اعتمدوا على الاستدلال العقلي في حد ذاته ، وإنما هو راجع إلى عدد من الأمور ، أهمها أمران : الأول : أنهم جعلوا العقل أصلا في ثبوت النقل ومعيارا في فهمه وقبوله ، والثاني : أنهم اعتمدوا على أدلة عقلية خاطئة مبنية على تصوراتهم الخاصة .

فمن وقع هذين الأمرين فهو المتبع للمنهج الكلامي ، وأما من اعتمد أصل الاستدلال العقلي في إثبات صحة الإسلام ، فلا يصح ألبتة الحكم عليه بأنه متأثر بالمنهج الكلامي ، ولا يطلق هذا الحكم إلا من لا يعرف حقائق الأقوال .

والحيرة التي وقع فيها عدد من أتباع علم الكلام لم تكن نتيجة استعمال الأدلة العقلية

من حيث هي ، وإنما كانت نتيجة الأخطاء التي وقعوا فيها في استعمال للدليل العقلي .

والغريب أن مواد برنامج صناعة المحاور متضمنة للتحذير من المنهج الكلامي والفلسفي ، وفيها ذكر لصور الحيرة التي وقع فيه المتكلمون ، وهي الأمثلة نفسها التي يوردها بعض المعترضين على البرنامج!!

الاعتراض الثاني : أن البرنامج يقلل من الإيمان الذي عليه العوام ، ويعلي من شأن الإيمان بالأدلة العقلية ؟

وهذا الاعتراض غير صحيح ، فأين وُجد في كلامنا أو في برنامجنا التقليل من الإيمان الذي عليه عوام المسلمين؟! فكيف ينسب إلينا شيء لم يسمع منا ولم يوجد مكتوبا في كلامنا؟!

نعم قد تجد في عبارات بعض المنتسبين إلى البرنامج شيء من ذلك ، ولكن ذلك لا يمثل البرنامج ولا يعبر عن حقيقته وأهدافه .

فنحن لا نقول : إن الإيمان بالله تعالى لا يحصل إلا بالنظر ، ولا نقول : من حصل إيمانه عن طريق التقليد مع عجزه مذموم ، ولا نقول : إن كل من اعتمد على الاستدلال العقلي أكمل إيمانا ممن ليس كذلك .

أحسب أنك أيها النبيل لا تخالفني في أن الناس مختلفون في تحقيق إيمانهم ، ومختلفون في أحوالهم ، فمن الناس من يكون الأصلح في حاله أن يكون إيمانه محصلا عن طريق التقليد ، ولو أعمل عقله لفسد إليه إيمانه ، ومن الناس من يكون الأصلح في حقه أن يكون إيمان محصلا عن طريق النظر والتأمل ، ولو بقي على التقليد لفسد عليه إيمان ، والجميع مؤمن .

الاعتراض الثالث : أن الاعتماد على المنهج العقلي في الاستدلال مناقض للتسليم الذي هو أساس الدين وروحه .

قيل : هذا الاعتراض مبني على تصور خاطئ ، وهو أن الاستدلال العقلي يناقض التسليم ؛ فهذا القول فيه خلط بين معنى التسليم وبين طرقه ووسائله .

فالتسليم هو الخضوع لله تعالى والاستسلام والانقياد القلبي والعملي له سبحانه ولدينه ، وهذا المعنى له طرق ووسائل ، وأحوال الناس مختلفة فيها ، فمن الناس من يتحقق عنده التسليم بادراك العظمة الإلهية ، ومنهم من يتحقق عنده التسليم بادراك الإنعام الإلهي ، ومنهم من يتحقق عنده بادراك آيات الله في الآفاق ، ومنهم من يتحقق منهم بالاستدلال العقلي ، ومنهم من يتحقق عنده بالفطرة المجردة ، ومن الناس من كان التسليم متحققا عنده ثم زال عنه أو ضعف بسبب الشبهات ، فيحتاج إلى معالجة وإصلاح .

فإذا عرفت الفرق بين الأمرين أدركت أن من قال بأن التسليم مناقض للاستدلال العقلي أو غير منسجم معه مخطئ .

الاعتراض الرابع : أن البرنامج يدخل الشباب في متاهات الشبهات؟

والجواب أن هذا الاعتراض مبني على الاستعجال وعدم إدراك طبيعة البرنامج وأهدافه وظروفه الواقعية الموجبة له .

فالبرنامج لا يقوم على تأسيس الإيمان بالجواب على الشبهات ، ولا على مدافعة الإلحاد بالرد على شبهاته ، ولا بالاعتماد على نشر الشبهات في البناء والتدريس ، كل هذه المعاني مناقضة لفكرة البرنامج ومنهجه وهيكلته .

ولو أن المعترض حاول أن يطلع على منهجية البرنامج أو يتواصل مع المشرفين عليه ، لأدرك أن البرنامج يقوم أولا على تأسيس اليقين والإقناع بأصول الإسلام بطريقة بنائية شرعية ، تعتمد على الأدلة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة وكلام أئمة السلف ونظريات العلم التجريبي الصحيحة ، ثم بعد ذلك تورد عدد من أشهر الشبهات مع الجواب عليها بالتفصيل والتطويل ، ويصاحب ذلك دراسة مركزة عن قوانين الجدل والمناظرة .

فالمشترك في البرنامج لا يصل إلى موضوع الشبهات إلا بعد مرحلة طويلة من التأصيل والبناء والاستدلال ، وحين يصل إليها لا يجدها مجردة عن النقد والتقويض .

ولا أظنك تخالفني في أن شروط الدفاع الصحيح عن الإسلام تتطلب الجمع بين أمرين : الأول : بناء الحق بأدلته الصحيحة ، والثاني : نقض أصول المعارضات وأشهرها .

وهذا ما يقوم عليه منهج برنامج صناعة المحاور ، فكيف يقال مع ذلك : إنه يعرض الشباب للشبهات ، ويدخلهم في متاهاتها ، ويصور للناس بأن البرنامج ليس فيه بناء ولا تأصيل ولا نقد؟!!.

أيها النبيل المشرفون على البرنامج يدركون خطر الشبهات ، ولا يقللون منها ، ولا يدعون عموم الناس للدخول فيها ، ولو أنهم لا يدكون خطرها ما قاموا بعمل البرنامج من حيث الأصل ، وحين أقاموه عملوا احتياطات كثيرة تساعد على تقليل خطرها وتخليص الناس من شرها ، وكونك لا تعرف تلك الاحتياطات ولم تبحث عنها لا يعني أنها غير موجودة .

والغريب أن بعض من يعترض على البرنامج بأنه يورد الشبهات في مقرراته يقع في هذا المعنى في تدريسه ودروسه ، فإنه حين يدرس العقيدة لطلاب الجامعة أو لغيرهم أو يؤلف كتابا في الرد على العلمانية وغيرهم يورد قدرا من شبهات المتكلمين والقبوريين والجبرية

والقدرية والعلمانية وغيرهم ويرد عليها ، مع إن مستوى طلاب برنامج صناعة المحاور لا يختلف عن مستوى طلاب الجامعة ، بل مستواهم أعلى!!

ومع أن ما ذكره في كتابه من شبهات العلمانية وغيرهم يمكن أن يطلق عليه بعض عوام المسلمين فيفتتن بها!!

الاعتراض الخامس : أن فكرة البرنامج مشابهة لقضية الترجمة التي حدثت في العالم الإسلامي وتنج عنها أضرار كبيرة .

والجواب : أن هذا تشبيه مع الفارق ، فنحن في البرنامج لم تقتصر على عرض الشبهات فقط ، ولم تقتصر على نقل ما عند المعترضين على الأديان من غير تبيان ونقد ، ولم ندرس كتب الفلسفة تقريرا .

فالبرنامج في أصل فكرته برنامج بنائي تقعيدي تأسيسي ، ومن شروط التأسيس الصحيح ذكر قدر من الاعتراضات والشبهات مع الجواب عليها ، وذلك مقنن بأمور سبق ذكرها .

الاعتراض السادس : أن البرنامج مفتوح على الناس ، فربما دخل فيه من لا يصلح للدخول فيه فيقع الضرر .

والجواب : نعم هو برنامج مفتوح ؛ لأنه قائم على العالم الافتراضي في الانترنت ، ولكن من قال له بأنه ليس لدينا معايير في القبول ، إن قضية المعايير في القبول من أكثر القضايا التي تناقشها حولها قبل إطلاق البرنامج ، ونحن ندرك أهميتها ومحوريتها ، وكونك تخالفنا في بعض المعايير ، لا يسوغ لك أبدا أن تصور للناس بأنه ليس لدينا معايير في القبول .

ثم إن اعتراضك هذا يمكن أن يورد على نظام الجامعات والدروس في المساجد ، فإن

الجامعات يقدم عليها آلاف الشباب ، وبعضهم قد لا يكون مناسبا لقسم العقيدة ، وبقاؤه فيها قد يؤدي به إلى تشرب الشبهات والتأثر بها ، فهل نطالب بإغلاق أقسام العقيدة حتى توضح المعايير أو نطالب بترك مناقشة الشبهات فيها؟!

وكذلك الدروس المفتوحة في المساجد قد يأتي إليها من لا يكون صالحا لسماع ما يطرح فيها من النقاشات العلمية مع المخالفين ، فهل يسوغ أن نطالب بإغلاقها أو بهجر النقاشات العلمية فيها لأجل هذا المعنى؟!

الاعتراض السابع : أن وقت البرنامج قليل لا يصلح لإخراج مؤهلين للحوار والنقاش .

والجواب: أن هذا الاعتراض مبني على مقدمة خاطئة ، وهي أن التأهل للحوار يقوم على طول المدة في الدراسة ، وهذا ليس شرطا ، فقد يتأهل المرء للحوار في مدة وجيزة إذا كانت المادة التي يقوم بدراستها قوية ومعدة لذلك .

ثم إن برنامج صناعة المحاور عبارة عن مراحل متعددة ، المرحلة الأولى تقوم على تأسيس القين ومعالجة أصول الشبهات ودراسة أصول الحوار والنقاش ، وهذه المرحلة ليس كل من تخرج فيها يكون مؤهلا للنقاش والحوار ، ونحن لن ندع ذلك .

وهناك مرحلة أخرى ، هي مرحلة مسارات التخصص ، وفيها دراسة مكثفة ومخصصة لعدد من الموضوعات والمحاور ، وهي التي يقصد بها تأهيل المحاورين إلى الحوار .
ثُم ان هدف البرنامج ليس محصورا في تخريج محاورين ، وإنما له أهداف أخرى أسبق على هذا الهدف وأهم ، منها : تعزيز اليقين في نفوس الشباب وضبط تصوراهم ومناهج .

وفي ختام هذا المناقشة أتمنى من جميع الإخوة الذين لديهم تساؤلات حول البرنامج أو سمعوا اعتراضات عليه أن يحرصوا على التعرف على البرنامج أولا ، ثم بعد ذلك يحكمون

بما يرونه موافقا للحقيقة ، فإن ذلك أبرأ للذمة وأحوط في الحكم .

ونريد أن نخبر جميع المتابعين بأن البرنامج في تطور مستمر ، والمشرفون عليه حريصون كل الحرص على التطوير وسماع الملاحظات والتقييمات التي يبديها المتابعون والحريصون .

كتب في عام ١٤٣٩ من الهجرة